

أحاديث رمضان ١٤٣٧ . درر ٢ . الحلقة الخامسة : حقوق الزوج ٢ - القوامة وخطوات معالجة نشوز الزوجة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٦-٠٦-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ يقول تعالى :

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾

[سورة النساء : ٣٤]

من المرأة الصالحة ؟ وكيف تكون حافظة للغيب بما حفظ الله ؟ ثم ما هو النشوز ؟ ثم إن وقع هذا النشوز فما هي طريقة المعالجة القرآنية التي ترضي الله تعالى ؟ كيف يعظ الرجل زوجته ؟ كيف يهجرها في المضاجع ؟ ثم كيف يضربها وما هي حدود هذا التأديب ؟ وما هي ضوابطه ؟ وما هي مبرراته ؟ هذه الأسئلة وغيرها تتابعون الإجابة عليها بعد قليل في هذه الدرة الجديدة من درر الشريعة..

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الكرام أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بالخير واليمن والبركات والطاعات ، ونحن في مستهل حلقة جديدة من برنامجكم درر ، حيث نتحدث عن القيم في تعامل الزوجة مع زوجها ، وبعبارة أخرى حقوق الزوجة على زوجها ، أو حقوق الزوج على زوجته ، ونحن في لقاء سابق كنا قد بدأنا في قوله تعالى :

﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

[سورة النساء : ٣٤]

وبين لنا أستاذنا الكريم معنى القوامة ، وأنها تكليف وليست تشريفاً ، كما بينا أنها تلك الدرجة ، درجة القيادة التي يمتاز بها الرجل عن المرأة في قيادة الأسرة ، اليوم نتابع فهمنا لهذه الآية ، ويادئ ذي بدء علينا أن نرحب بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله أستاذنا .

الدكتور راتب :

وبكم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم اليوم نتابع الآية ، وفي الحق الأول للزوج على زوجته ، وهو حق القوامة ، تحدثنا عن معنى القوامة ومنتقل اليوم إلى تنمة الآية ، يقول تعالى :

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

[سورة النساء : ٣٤]

من المرأة الصالحة التي تعنيها هذه الآية والتي لا تحتاج أساليب المعالجة التي سيأتي ذكرها فيما بعد ؟

تعريف بالمرأة الصالحة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين .

المرأة الصالحة التي إذا نظرت إليها سرّتك ، تعنتي بهندامها ، تعنتي بأناقته ، كي يغض زوجها بصره عن محارم الله ، فإنها إن اعتنت بقوامها وزينتها فإن زوجها يغض بصره ، أي تسهم في أن يغض بصره عن غيرها ، هذا شيء أساسي في السعادة الزوجية ، وإذا غبت عنها حفظتك ، في عرضها ومالك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، لذلك هذه المرأة :

((إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ حَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ))

[أحمد عن عبد الرحمن بن عوف]

كأن دين المرأة أهون بكثير من دين الرجل ، هي لا تكسب المال هي تربي أولادها ، وترعى زوجها ، والشيء الذي يلفت النظر ، النبي صلى الله عليه وسلم فيما ورد في الأثر :

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحدكن لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله))

[أخرجه ابن عساکر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]



المرأة الصالحة تعرف الغاية من وجودها

يعدل الجهاد في سبيل الله ، قد ترتقي المرأة إلى مرتبة الجهاد ، والجهاد كما هو ثابت :

((ذروة سنام الإسلام الجهاد))

[الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

فأي بشارة وأي تكريم للمرأة فعله الإسلام معها؟؟ إنها ترتقى بطاعتها لزوجها ، وحسن إدارتها لبيتها ، وحسن تربيتها لأولادها ، إذا عبدت ربها فيما أقامها ، فهي معي في الجنة كما ورد في بعض الآثار ، ويعدل عملها الجهاد في سبيل الله ، والجهاد ذروة سنام الإسلام .

أنا أريد من أخواتنا المؤمنات أنت حينما تقدمين لزوجك حاجاته أنت تعبدين الله فيما أقامك ، لأن بين أن تفعل هذا العمل إرضاء لزوج وقد تتوهم أنه لا يستحق هذا الإرضاء وبين أن تعبد ربها فترضي زوجها عبادة الله ، أنا أكاد أقول مرة ثانية : إن عظمة الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين، كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر ، هذا الذي يفرق به بين الرسالة وبين الوضع العادي ، زوجة مثل أي زوجة ، تأكل وتشرب وتطبخ وتخدم البيت ، أما حينما تحمل رسالة فالأمر يختلف ، هي حينما ترعى زوجها يرتقي عملها إلى الجهاد في سبيل الله ، حينما تربي أولادها تأتي الآية الكريمة :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾

[سورة الطور: ٢١]

أي أعمال ذريتها في صحيفتها ، فهناك إغراءات في الإسلام كبيرة جداً للمرأة ، فالمرأة حينما تعرف ربها ، وتعرف سر وجودها ، وغاية وجودها ، وتعرف حكمة كونها أنثى وعددها الله بأشياء كثيرة جداً، فبين أن ترعى زوجها ، وبين أن تربي أولادها ، وبين أن تكون صوامة قوامة ، أبواب الجنة مفتحة للمرأة وهي في بيتها دون أن تخرج ، هناك طرق سالكة إلى الجنة من بيتها .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، كأني فهمت :

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾

[سورة النساء : ٣٤]

هذه تحفظه في غيبته ، في عرضها وماله .

نعمة عفة الزوجة وصلاحها لا تعدلها نعمة :

الدكتور راتب :

أخي الكريم بارك الله بك ، أهدنا يسافر شهراً لأمريكا مثلاً لا يخطر في باله لثانية واحدة أن رجلاً أجنبياً دخل بيته ، هذه نعمة لا تعدلها نعمة ، هي نعمة الإسلام ، نعمة الزوجة الصالحة ، أنا أرى ملايين مملينة من بني البشر المسلمين إذا سافروا لشهر أو شهرين لا يخطر في بال أحد منهم أن رجلاً دخل إلى بيتهم ، فنعمة عفة الزوجة



وصلاحها لا تعدلها نعمة ، ولكن أريد أن أذكر أخوتي المشاهدين أن النعم التي ألفناها قد ننساها ، من هنا جاء دعاء النبي عليه الصلاة والسلام : " اللهم أرنا نعمك بدوامها لا بزوالها" . دخلت بيتك الزوجة صالحة ، مطمئن إلى عفتها واستقامتها ووفائها ، وأنها كما تتمنى ، هذه نعمة لا تعدلها نعمة .

الأستاذ بلال :

أستاذنا لو انتقلنا إلى النوع الثاني من النساء ونسأل الله ألا تكون نساء المسلمات منهن :

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾

[سورة النساء : ٣٤]

من المرأة التي تخاف نشوزها ؟ وما الملمح في قوله واللاتي تخافون ولم واللاتي ينشزن ؟

على المؤمن أن يكون نكياً لماً و يكتشف الخلل قبل أن يصل إليه :

الدكتور راتب :

والله هناك معنى عميق جداً ، الزوج الصالح عنده إدراك دقيق ، فإذا أدرك أن هناك في حياة زوجته جهة أخرى فيجب أن يدركها بوقت مبكر ، حتى يصلح ما فسد ، حتى يقوم الاعوجاج ، حتى يطيب ، حتى يعالج ، أما هناك من يغفل عن هذه الناحية ، إلى أن يقع المحذور ، تخافون أي لم تنتشر بعد ، لكن هناك اهتمامات لا ترتاح لها ، كأن هذه الآية تريد من المؤمن أن يكون ذكياً ، يكون لماًحاً ، أن يكتشف الخلل قبل أن يصل إليه ، وهذه بطولة في الإنسان ، هذه القيادة ، الحقيقة ما من مؤسسة في الأرض إلا وتحتاج إلى قيادة ، والزوجان متساويان في التكليف والتشريف والمسؤولية، لكن هذه المؤسسة لا بد لها عند الأزمات من قائد واحد



أنا أقول : كيف أن الطائرة فيها طياران كلاهما يملك من المؤهلات ما يقود بها الطائرة ويقع بها ويهبط بها ولكن عند الأزمة الشديدة القرار للقائد ، أنا أقول : هناك مشاركة مع الزوجة يسألها وتساءلك، تأمرها وتأمرك ، من باب المشاركة لكن هناك أزمة في البيت القرار للزوج ، أية مؤسسة في أي مكان لا بد لها من قيادة ، والقيادة أحادية ، أنا أضرب مثل الطائرة في الأزمات القرار لواحد .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، بعد الفاصل نتابع الآية الكريمة ...

السلام عليكم ، عدنا أيها الأخوة الأكارم لنتابع الحديث عن الحق الأول من حق الزوج على زوجته وهو حق القوامة ، ونتابع الحديث في حق القوامة وقد كنا قبل الفاصل تحدثنا عن قوله تعالى :

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾

[سورة النساء : ٣٤]

فالرجل حينما يخشى أن تخرج المرأة عن طاعته ، تكون في مكان لا يرضي الله عز وجل ينبغي أن ينتبه ، ويبدأ بالعلاج كما بينتم جزاكم الله خيراً ما هو العلاج القرآني ؟

﴿ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾

[سورة النساء : ٣٤]

أريد أن نبدأ بهذه الأساليب وضوابطها .

١ . الوعظ :

الدكتور راتب :

أولاً : فعظوهن ، أنا لا أتصور تكليفاً من دون بيان ، أنا أبين لها ما أريده منها ، أبين لها ما آلمني من تصرفاتها ، أبين لها تقصيرها ، حينما أبين أحاسب ، أما أن تحاسب على توهم منك أيها الزوج أنها خالفت ما تتمنى فهذا خطأ كبير ، أعلمتها بما تتمنى ؟ أعلمتها بما يزعجك ؟ أعلمتها بما يرضيك ؟ فلذلك أنا أتمنى أن يكون هناك حوار ، هذا الحوار بين الزوجين من حين لآخر ، هذا التصرف يؤلمني

أنت امرأة غالية عليّ ، يثني عليها دائماً ، النقد يحتاج إلى مدح قبله ، حتى تطمئن ، أنا لست حاقداً لكن هذه حياة مشتركة ، وهذا زواج مشروع مستمر ، هذه الكلمة تؤلمني ، هذا التصرف يؤلمني ، فتح النافذة بهذه الطريقة يؤلمني ، مثلاً ، هذا الاتصال الهاتفي معه أشعر أنه لا ينبغي أن تتصلي مع أقربائك مثلاً يؤلمني ، أنا أريد أن يبين ،



لذلك قالوا : البيان يطرد الشيطان ، يبين ، إذا بينت حاسب ، لكن الحاسب ليس من المرة الأولى ، ممكن من المرة الأولى أن يكون هناك استمرار للخطأ ، أو لا يوجد قصد بتنفيذ الأمر ، المرة الثانية، الثالثة فيها محاسبة ، والبطولة في الزواج أن إعراض الزوج فقط يعد أكبر عقوبة لزوجته ، إعراضه عنها ، الإحسان إذا تتابع من الزوج يصبح الإعراض عقاباً شديداً ، كيف أن قوله تعالى بحق المؤمنين ، أحياناً يقصر المؤمن ، تزل قدمه في مخالفة في الشرع :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

[سورة المطففين : ١٥]

والأثر معروف : تخلقوا بأخلاق الله ، فأنت ينبغي أن تعظها وتبين لها الصواب ، وهذا خطأ ، والبطولة مع الدليل :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

[سورة التوبة: ١٠٣]

دائماً أقنع ولا تقمع ، أنا هذا الموقف يؤلمني ، آثاره المستقبلية خطيرة ، هذا يسبب سمعة لا نرضاها لك مثلاً ، دائماً أبين ، أقنع ولا أقمع ، أما حينما ترتكب الخطأ مرة ثانية نحن نبهناك سابقاً ، المرة الثالثة يجب أن تعرض عنها إلى حين ، وهذا يعد أكبر تأديب ، كلما ارتقت علاقة الزوجة بزوجته يصبح الإعراض عنها أكبر تأديب لها .

الأستاذ بلال :

هذا الوعظ ؟

٢ . الهجر في المضاجع :

الدكتور راتب :

الوعظ ، الشيء الثاني فو قوله تعالى :

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

[سورة النساء : ٣٤]



هناك ملمح في الآية مدهل ، لو أنه تألم منها فنام في غرفة أخرى ، في غرفة الجلوس ، الأولاد اكتشفوا أن هناك مشكلة ، فكأن الله يريد منا إن كان هناك خلاف بين الزوجين أن يبقى في غرفة النوم ، فلو خرج من غرفة النوم ونام في غرفة الجلوس مثلاً علم الأولاد أن هناك مشكلة بين أبيهم وأمهم ، فكأن الله يريدنا أن تبقى هذه المشكلة محصورة بين الزوجين فقط:

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

[سورة النساء : ٣٤]

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل العلاج الأخير وآخر الطب واضربوهن :

﴿ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾

[سورة النساء : ٣٤]

وهذه الكلمة كثيراً ما يشكّل فهمها على الناس .

الدكتور راتب :

والله أنا أحاول أن أوضحها بالمثل التالي ، إذا كان هناك طفل يتيم ، ويعمل في محل تجاري ، والطفل ليس له أب ، وأمّه تعيش من أجرته ، فلو أن هذا صاحب المحل كشف خطأ من أخطاء هذا الطفل فطرده ، فقد عمله ، لا ، أنت أدبه وأبقه عندك ، هذه أفضل بكثير ، أفضل بليون مرة ، الزوج يستطيع أن يطلق زوجته ، من لها غيرك ؟ أخطأت ، فالبطولة أن يحتمل هذا الخطأ ، أنا أذكر مرة أن رجلاً تزوج إنسانة ، بالشهر الخامس من زواجه كان حملها في الشهر التاسع

واضح هناك خطأ مرتكب ، كان بإمكانه أن يطلقها ، أو أن يسحقها ، أو أن يفضحها ، فالدولة معه ، والقانون معه ، والشرع معه ، وأهلها معه ، ماذا فعل ؟ جاء لها بمن يولدها ، ولدت ، فحمل المولود تحت عباءته ، وتوجه إلى جامع الورد في ساروجة في دمشق ، وبقي واقفاً أمام الباب حتى نوى الإمام الصلاة، قال : الله أكبر ، دخل ووضع



ضرب الزوج لزوجته رمزي هدفه إحداث خبرة مؤلمة

إلى جانب الباب ، والتحق بالمصلين ، فلما انتهت الصلاة بكى هذا الصغير ، تحلق المصلون حوله، وتأخر هو حتى يكتمل تحلق المصلين حوله ، ثم اقترب ، قال : ما القصة ؟ قالوا : تعال انظر ! مولود لقيط ، قال : أنا أكفله ، فأخذه ، ودفعه إلى أمه من أجل أن تربيته ، فالذي يلفت نظري في القصة وصاحبها رجل له مكانة كبيرة رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قال له النبي في الرؤيا : بلّغ جارك فلاناً أنه رفيقي في الجنة .

أنا أستنبط من هذه القصة المؤثرة أن العدل مطلوب ولكن الإحسان فوق العدل ، الإحسان فوق العدل ، وأنت أيها المؤمن كما أن الله أمرك أن تكون عادلاً أمرك أن تكون محسناً، أنا أقول هذه رسالة ، عندك ابن ، عندك زوجة ، عندك شريك ، هناك خطأ فك الشركة سهل ، والطلاق سهل ، والضرب المبرح سهل ، لكن البطولة أن تصلح ، فالإصلاح فيه أجر كبير ، بلّغ جارك فلاناً أنه رفيقي في الجنة .

الأستاذ بلال :

وهذا الضرب ولو حصل فهو غير المبرح .

الدكتور راتب :

غير المؤلم من أجل جرح ، إعطاء خبرة مؤلمة ، أحياناً الأستاذ يترك الطالب واقفاً على الحائط ، هو لم يضربه ، الكل جالس وهو واقف لأنه لم يكتب وظيفته ، العقاب ليس المهم منه الإيلام لكن الغرض منه أن تضعف المكانة الاجتماعية .

الأستاذ بلال :

ابن عباس رضي الله عنهما يقول : بالسواك ونحوه . أي أن يؤدب بالسواك .

الدكتور راتب :

مرّ معي نص لطيف :

((والله لولا خشية القصاص لأوجعتك بهذا السواك))

[ورد في الأثر]

الأستاذ بلال :

النبي عليه الصلاة والسلام كما صح لم يضرب امرأة قط .

استيعاب الزوج لزوجته و تأديبها إن أخطأت :

الدكتور راتب :

لكن أعداء الدين يأتون لهذه الآية ويكبرونها ، هؤلاء قناصون ، يريد أن يقنص ، أعيد مرة ثانية : هذا اليتيم الذي يعمل عندك لو أخذ من مكان المال مبلغ مئة ليرة ، أنت بإمكانك أن تطرده لكن هو ليس له أحد غيرك ، لو أدبته وبقي عندك أفضل بكثير ، أنا أقول : الزوجة أخطأت ممكن أن تطلقها ، لكن لو طلقها وانكشف الخطأ الذي وقعت به ربما تعاني ما تعاني من أهلها ، وقد تنتهي حياتها أحياناً ، حينما استوعبها وأدبها ، والله له أجر لا يعلمه إلا الله ، فهذا الذي اكتشف أن زوجته وقعت بفاحشة ثم سترها ، وأخذ المولود ، وقدمه لها بعد ساعات على أنه لقيط وسترها قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل: ٩٠]

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم ، طبعاً سيدي الوعظ ، الهجر في المضاجع ، واضربوهن مرتبة ، أي لا ينبغي أن يلجأ إلى الثالثة قبل الأولى أو الثانية .

الدكتور راتب :

الضرب رمزي . يسمونه إحداث خبرة مؤلمة واجتماعية .

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين